

الملك والدرقيش

بقلم وفريد ستابلشير
للاستاذ محمد لطفي جمعة

وكالبدر يغنيها تودد وجهها
إلى كل من لاقت وإن لم تودد
هذا البشر والبشاشة
والابتهاج التي هي أهم عناصر
الحسن والجمال في المرأة لا تجتمع
إلا مع الأدب والتواضع والركة ،
ولا تتوافر إلا لمن ينعمن بعيشة
هنية وحياة رضية

وكان الملك فضل الله صالحاً
ورعاً ، نقيماً مؤمناً ، يقرب من
بتوسم فيهم الاخلاص ويشق بمن
يظهرون التقوى ، ويلين لهم
ويصدق عليهم نزلاً إلى الله وقربى .
فقدم على بلاطه يوماً درويش
من المتصوفين حديث السن ،
جميل الصورة ذو فطنة وذكاء
وأدب وظرف ، فأقام أياماً بين
الحاشية والبطانة ، فاستطاع أن
يجذب إليه القلوب ويفتح الأبواب
برقة شمائله وحلاوة طبعه ، وظرف
خصاله ، وعذوبة حديثه . وكان
الفتى المتصوف جهم التواضع ،
كثير الاطراق ، ذا قناعة وعفة ،
غزير المعرفة ، فنعى خبره إلى
الملك وبالع الأمين الذي وصفه في
حسن تقديمه في غيبته
فناقت نفس الملك إلى رؤيته
وسماع حديثه والسرور بارتشاف
سلافة مخادته ، فأوفد أمينه

تعريف بالقصة

وينفريد ستابلشير كاتب انجليزي
مقل ، أحب الأسفار في الشرق وكان
ذلك عقيب قراءة قصة « حاجي بابا
الأصفهاني » التي كانت لها شهرة
ذاتمة . فساح في إيران وحدها إليها
شعر الحيام ، وأداب الحامي وحافظ
والفردوسي ، وقد دون أسفاره في
مجلدين وكتب بضع قصص قصيرة
منها قصة الملك والدرويش التي جمعها
على نمط البوابيات الحديثة ، وإنما
المعركة بالقول بين الأرواح . لايت
الأجساد . ووصف الحيلة الشرقية
على هذا الأسلوب البارع نادر في
الأدب الأوروبي . فالحجر « بازكود
بجازين » الذي تنقل عنه هذه القصة
الرائعة « إنها خارجة من أعماق
الشرق كليلة من ألف ليلة ، عسيما
مسحة من أحلام الوديان الهادئة وأجبال
الشامخة ، وفيها ألوان من حياة الملوك
الدهاة وبعض الدراويش المخادعين
الذين يتجرون بالأرواح ويسرقون
الأجساد وينصبون شبكاتهم لأحيائهم
قبل أعدائهم ، ويتصيدون نفوس
من أحسنوا إليهم ، وهم يخفون تحت
مرقعاتهم نفوساً أسود من غابة
الجب وأعماق من الآبار النائية »
ولذا أثرنا تعريبها لقراء الرواية عنهم
يجدون فيها من النعة ما ذكره تقدمنا
الأرب .

كان في بعض أقطار الفرس
— آذربيجان — ملك اسمه
فضل الله ، وكان عادلاً رحباً ،
رؤوفاً برعيته ، كريماً على فقرائهم ،
ساهراً على سعادتهم ، شاهراً
سيوف جنده للذود عن حياضهم .
يجوس خلال ديارهم لينصف
المظلوم للظالم ، قائماً بواجب الحكم
خير قيام ، ناصباً ميزان العدل
والاحسان . ومن حسن سيرته
وسماحة نفسه أنه كان يعيش على
أتم وفاق ووثام مع زوجته الحسنة
أنوشروان . وكانت الملكة
أنوشروان نموذجاً للوجه
الصالح المستبشر الطلق المتهلل ،
الناطق بما يجيش به الروح من
مشاعر الفرح والطرب وعواطف
الركة والظرف والدمامة ، فأجال
في صفحات ذلك الوجه الفارسي
البديع ماء البشر والبشاشة ،
وكساه رونق الأنس والابتهاج ،
ونضرة النعيم والأمن والطمانينة

والذى ذكر محاسنه وفضائله فدعاه إلى مجلس العرش فتلطف الملك في استقباله ، وأقبل عليه حتى أزال وحشته ، فوجد ما شاء علماً وأدباً ، ثم شجمه فأصاب ما لم ينتظر ، دهاء وأدباً ، وسعة حيلة ، وجمال وسيلة ، وُبدعور ، إلى تجربة وحنكة وغزارة حكمة . وألنى حقيقة الرجل فوق الذى ذاع ، وأبصر في صورته وعقله وبصيرته وبصره بالأمور أكثر مما قصرت في نقله الأفواه للأسماع . ففرح الملك بهذا التصوف الناشئ أعظم الفرح ، وكأنه ظفر بفاية الأمانى ، ونادرة الدهر ، ورابع المستحيلات . فتمسك به وأدناه ونسى بهذا الضيف الجديد كل الندامى والسَّمار ، واكتفى به عن جميع الوفود والزائرين . وأراد أن يختص به نفسه وأن يستبقه في بلاطه ، ليستمتع به ما بقى من أيام عمره التى تخيلها صحراء مجدبة بدون استمرار مودته ، فعرض على الدرويش السعيد أسمى ما لديه من المناصب والرتب ، وبذل أقصى ما يملك بذله من المال والنسب ، وحسَّن له أعلى مناصب الدولة ، حتى رئاسة الوزارة وجلال الإمارة ، لم ييخل بهما عليه ، وهى تلك الوظائف التى رأى سادة البلاد ومشيوخها وصفوة خيارها وزعمائها يتكالبون عليها ، ويتهاقنون على لهايتهافت الفراش على النار ، مهما بلغت بهم السن وقطعوا من أشواط الحياة ونالوا من مفاخر المجد في السلم والحرب ، فما زالت بهم حكمة تدعوم إلى معاودتها ، ولكن الدرويش اللبيب تنجى شاكرآ ، وأبى معتدراً قائلاً :

والذى ذكر محاسنه وفضائله فدعاه إلى مجلس العرش فتلطف الملك في استقباله ، وأقبل عليه حتى أزال وحشته ، فوجد ما شاء علماً وأدباً ، ثم شجمه فأصاب ما لم ينتظر ، دهاء وأدباً ، وسعة حيلة ، وجمال وسيلة ، وُبدعور ، إلى تجربة وحنكة وغزارة حكمة . وألنى حقيقة الرجل فوق الذى ذاع ، وأبصر في صورته وعقله وبصيرته وبصره بالأمور أكثر مما قصرت في نقله الأفواه للأسماع . ففرح الملك بهذا التصوف الناشئ أعظم الفرح ، وكأنه ظفر بفاية الأمانى ، ونادرة الدهر ، ورابع المستحيلات . فتمسك به وأدناه ونسى بهذا الضيف الجديد كل الندامى والسَّمار ، واكتفى به عن جميع الوفود والزائرين . وأراد أن يختص به نفسه وأن يستبقه في بلاطه ، ليستمتع به ما بقى من أيام عمره التى تخيلها صحراء مجدبة بدون استمرار مودته ، فعرض على الدرويش السعيد أسمى ما لديه من المناصب والرتب ، وبذل أقصى ما يملك بذله من المال والنسب ، وحسَّن له أعلى مناصب الدولة ، حتى رئاسة الوزارة وجلال الإمارة ، لم ييخل بهما عليه ، وهى تلك الوظائف التى رأى سادة البلاد ومشيوخها وصفوة خيارها وزعمائها يتكالبون عليها ، ويتهاقنون على لهايتهافت الفراش على النار ، مهما بلغت بهم السن وقطعوا من أشواط الحياة ونالوا من مفاخر المجد في السلم والحرب ، فما زالت بهم حكمة تدعوم إلى معاودتها ، ولكن الدرويش اللبيب تنجى شاكرآ ، وأبى معتدراً قائلاً :

— مولاي ! لست وربى سبحانه أرفض بطراً ولا أتردد مطلقاً ، ولا أنعف تصنعاً . ولا أحرم نفسى من جميل عطفك ترفعاً . أستغفر الله

ولما كان الدرويش يتقن ركوب الخيل ويحسن الكر والفر ، ويجيد الرماية ، مما لا يتوافر إلا لأبناء الملوك وخاصة الخاصة ، فكان يدعوهم أحياناً إلى صيد الطيأ على سهوة الجياد ، فيرى من ضروب الفروسية عجيباً . وفى ذات يوم خرجا يلهوان في بعض الحراج ، وقد انقطعا عن الحاشية والأتباع وأرسل الدرويش من الملك ميلاً إلى سماع حديثه فأنشأ يقص عليه بعض نوادر أسفاره ومخاطر أيامه السالفة ، ومناصرات ماضيه ، فساق في عرض أخباره أنه كان في جزيرة « ديسكا » من جزر الهند الشرقية ، فصحب رجلاً من شيوخ البراهمة ، وإماماً من أئمتهم ، وقطباً من خيرة أقطابهم ، هو مركز دائرة الوصول عندهم ، ومنبع نهر الحقيقة في عرفهم ، ومجمع أسرار الطبيعة لديهم ، سادن الهيكل ، وأمين خزائن الحكمة . وقد

شاء الله الواحد القهار والفعال لما يريد أن تكون
وفاة هذا البرهمن بين ذراعي الدرويش

فلما جاءته سكرات الموت ، وبلغت روحه
التراقي ، ولم يبق بينه وبين « الانفصال عن جسده »
وثوبه الأرضي والانسلاخ عن جلده والوثب عن
كشب إلى العالم الثاني ، سوى بضع ثوانٍ ، أو قل
بعض أنفاس تتردد ، أو ما إلى أن أصني إليه ، فطاطأت
رأسي حتى لامست فيه فباح لي بسر من أخطر
أسراره ، وأخذ على عهد إليه وميثاقه ألا أبوح
به ما بقيت في نابضة

فوقف الملك مذهولاً من إفراغ الخبر في قالب
التشويق حتى طارت نفسه شماعاً في سبيل الوقوف
على حقيقته . فقال للدرويش على سبيل التخمين
والحدس « لعله صناعة الذهب من المعادن الخسيسة ،
أو حجر الفلاسفة »

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك
وأغرب

قال الملك : لعله نبع الحياة الذي إذا شرب منه
الشيخ جرعة عاد إليه شبابه ورجع إلى صباه وأقبل
على اللذات ينشف كؤوسها كما كان فتياً

قال الدرويش : كلا ! يا مولاي بل هو أعجب
من ذلك وأغرب

قال الملك : لعله بساط سليمان أو فرس نهمان
الذي ينقلك من مكان إلى مكان في طرفة عين

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك
وأغرب :

قال الملك : لعله تستطيع رؤية من تحب
وتخاطبه وتماثبه وأنت على بُعد شاسع ومسافة
تطيرها الجياد في أيام

قال الدرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك
وأغرب

فضحك الملك وقال : إلى هنا وكلت غزالة
ذهني فلا تجري وراء ذلك ، وهبط طير العقل
فلا يحلق فوق ما ظننت

فقال الدرويش ، وهو عابس لا يفارقه الوقار
ولا يجاري الملك في سروره : إنما السر هو إحياء
جنّة ميتة بنقل روعي إليها

فهت الملك وقال : التقمص أو التناسخ
قال الدرويش : فليسمه مولاي بما شاء ، من

من الأسماء . إنما هو البعث والاستبدال وقهر الموت
فقال الملك : ان الذي يؤمن به يكفر بدينه ، فقد
كان عقيدة المجوس وأتباع زاردشت . إن البعث
لا يكون إلا مرة واحدة ، يوم القيامة . ومعجزة
إحياء الموتى لم يهبها الله إلا نبياً واحداً

فقال الدرويش : لا دخل للكفر والايمان ،
فإنها صناعة وذريعة ، لا كرامة ولا معجزة .

فقال الملك : إن في كتبنا خبر حسن بن صباح
الذي رأى حماراً يحمل حجارة ، ويتسكك في الطريق
وسائقه يلكره والحار يبكي ، فدنا منه وتحدث إليه
ثم قال : إنه صاحب فلان ، رفيق صباي وزميلي في
المدرسة ، قد تقمصت روحه جلد حماره . ولكننا
نقرأ كما نقرأ شعر صاحبه الخبثام على أنه حديث
خرافة ونسلية النساء وضراح الأغرار

قال الدرويش : والملك أسر حديث قلبه الله
أماناً ترعى العشب وتمزق الكلا بأسنانها وأنيابها
وتطرد الدباب بذنبها ، وكان ذلك تهذيباً له وإذلالاً
لنفسه بعد طفيلانه وظلمه ، وقد كان ملك آشور ، ففزا
ديار الملك ليللي ودمر بلاده تدميراً وتركها طعمه

لنار وحبس عدوه المظلوم في قفص من حديد .

فقال الملك : لقد حسبتك تمزح ولكن إيراد المثال يضع حداً للقليل والقال . قل لى بربك أيها الدرويش أين تذهب الأرواح عندما تغادر الأشباح ؟ أذهب الملك العادل والحكيم الخبير والشاعر الأدب والجمال الناصر إلى حيث لا عودة ، إلا يوم النشور ، حيث يردون دار النعيم أو دار الشقاء ؟ وعلام العلم والأدب والتفكير والأحلام والرجاء إذا لم تطل حياة الانسان أكثر مما نرى في هذا الوجود ؟ فقال الدرويش : حذار يا مولاي فقد كنت تُحذِرُني من غيبة النظر في هذه الحكمة الإلهية ، وها أنت ذا تندب حظ البشر ، لأنهم يعيشون على سطح الأرض مرة واحدة ، وتستكثر على الموت أن يطوى صفحاتهم قبل أن يستتموا ، أو توافيهم آجالهم في الوقت الذي آن أن يجنوا ثمار جهودهم ، وينتفع الناس بخيرهم ... ولعلك أيضاً تجد الزمان الذي يذهب بين الموت والبعث أطول مما يستحقه الفضلاء من السجن في البرزخ والأعراف وما إليها فقال الملك : ما أسرع تنقل الفكر الإنساني ! فأين نحن من صناعة البرهمي التي ألقنك إياها . هيا بنا إلى الصيد يادرويشي العزيز ، فإن فيه انصرافاً عن مزالي الزندقة ونجاة من الوقوع في مهاوى الهرطقة .

وفي تلك اللحظة سنج لها ظبي ، فرماه الملك فأصماه ، ثم أقبل على الدرويش فقال :

— دونك جثة هذا الظبي الغرير ، فأرني آبتك وأثبت لي براعتك وأعدّه إلى الحياة أو أعد الحياة إليه ، بعد أن أوردته بسهمي مورد الخوف .

فلم يك إلا كلج البصر حتى رأي الدرويش قد

خرج من جسده ، فغادره جثة هامدة ملقاة على الصعيد ، وانسل في جثة الظبي فتقمصها ولبسها وأحيها بروحه ، فأهضها وإذا الظبي حي يتنزي مرأحاً ، ويتوثب طهاحاً ، حتى أقبل على الملك يتمسح به ويحوم حوله ، ليثبت له أنه درويشه ونديعه وأنيسه ، وأنه لو كان ظبياً غير الذي أصماه الملك ، لأسلم سراجه للريح ، وتعلق بأذيال الغرار

ثم انبرى الظبي البيعوث للمشب والكلاب يرعاهما ما شاء . فاعرورقت عين الملك الطاهر الطوية بالدموع على « غزاله » الذي كان منذ برهة نديعه وأليفه وعشيرته . ولكن الظبي ما لبث أن خر إلى الأرض جثة هامدة ، وفي نفس تلك اللحظة تحرك جسد الدرويش بعد هموده ، وبدت عليه دلائل الحياة ، ثم نهض كأصح ما كان وأنشط ، فأقبل عليه الملك يقبله ويهنئه وقد دهش من تلك المعجزة الخارقة وأقسم عليه بكل عزيز ورفيع ومقدس ، إلا ما لقنه هذا السر العظيم . فاعتذر الدرويش وتأبى وادعى أن شيخه البرهمي لم يأذن له في تلقينه أو البوح به دون سابق رياضة ومران ، فإن مثل هذا السر ليس بالشيء الهين ... وما زال كذلك حتى بدأ مولاه يتذلل إليه ويهون لديه ، فوقف عند هذا الحد من التأبى والتنيه ، وماعثم أن أذعن ثم لقنه سر الآية مضمناً لفظتين بالسريانية . وأراد الملك أن يجرب المعجزة لتوه وساعته . وكانت جثة الظبي لا تزال طريحة على الترى ، فعمد الملك بحوها وتلا اللفظتين ، فما هو إلا كلج البرق حتى انتقل روحه إلى جثة الظبي وخر جسده إلى الأرض ميتاً

في تلك اللحظة أقبل الدرويش الخائن على جثة الملك وهي خلاء من الروح ونقل إليها روحه بسرعة

وعاد الدرويش في شخص الملك إلى قاعدة ملكه وعاصمته ، يترشح طرباً ويختال تهاً ، فتناول الصولجان وتبوأ عرش الدولة . ولكي يأمن ضياع العرش المفتصب والتاج المستلب ، أصدر أمره إلى الرعية بإعدام كل ما تحويه الآجام من وحوش الطياء حتى يهلك فيما يهلك هذا الطي الذي تقمصت فيه روح الملك الحقيقي . ولكن الأقدار أعانت الملك فأفلت من مهام الرماة والمتقمصين بتقمصه في جثة بلبل ميت كان قد بصر بها ملقاة على الأرض عند جزع شجرة تين مثمرة

وفي هذا التقمص الجديد طار الملك سالماً إلى بستان قصره الذي كان الدرويش يعمره مع الملكة وكانت تشمر نحو الدرويش المتقمص في جسد زوجها بنفور أوحته إليها الفطرة الشفافة والحس المرهف والنفس الشرفة بالنور الروحاني على بعض الخفايا فلم تبذل فراشها لروح غير روح زوجها . ولم تقبل على الدرويش الخائن يوماً .

هنالك وقع الملك البلبل على فتن أبكة بجوار نافذة الملكة وشرع بفرد ويرتل حتى هز برنين صوته أركان المكان ، وأرقص بشجا حنينه النصوص والأفنان ، وحتى فتن الملكة واستهواها ، فدنت إلى النافذة طرباً بالحانه واشتياقاً إلى نغمه . فأحزنه من الملكة أن رآها قد مرت بحنينه ، وابتهجت لأنينه ، وقد كان مراده أن يهيج أحزانها وأشجانها ويستثير رحتها ورأفتها . وما كان أعظم ضيقه وألمه وهو عاجز أعظم المعجز عن الانتقام من عدوه والاستمتاع بزوجته والعودة إلى ملكه . ويزيده كدداً أنه غير قادر على شرح حقيقة حاله لأقرب الناس إليه ، وهيئات أن يصدقه أحد حتى إن هو

البرق الخاطف وتناول قوس الملك وكناته وسدد سهمه إلى شخص الطي المشتعل على روح الملك يريد إصابته وإعدامه ، حتى إذا زهقت روح الملك من جثة الطي بهذه الكيفية ثم لم تجد جسماً تلجئ إليه ، ذهبت بطبيعة الحال إلى عالم الأرواح أو ذلك البرزخ الذي كان الملك يمجب لاختزان النفوس الفاضلة في أكنافه . وهذا هو الموت الزؤام بعينه . وبذلك يكون الملك قد مات موتاً لا صراء فيه ولحق بالأعراف أو عليين . وقد أصبح الدرويش هو الملك ولا يفتن أحد إلى حقيقته إذ كان يتقمص جسد الملك وصورته فيعود إلى البلاط ويحمل الأكررة والصولجان ويابس التاج ويمجر ذبول الفياء القرمزي ، ويقبض على أعنة الحكم ، ويتصرف في الدولة كما يشاء ، له الأمر والنهي والعزة والجلال . وقد أدرك الملك الحبيس في جثة الطي هذه الحيلة البعيدة الغور ، وكشف له عن سر الدرويش الشرير وما كان يضره له من سوء جزاء له على إحسانه إليه وبره به وتفضيله على رجال بلاطه وأهل حاشيته ، فخلق الملك الطي وحرق الأرم ، ولكنه لم يكن يملك الانتقام من عدوه وهو في موقف الغريسة من المفترس ، والصيد من الصائد المسدد سهمه إلى جسده لهريق دمه . ولكنه بدلاً من أن يذيب كبده غيظاً وعجزاً راغ من السهم ، فأفلت من شرك الردي وهام على وجهه في الآفاق ... وكل الصيد في جوف الفرا . فاكثاب الدرويش هنية ثم أخذ في مطاردة مولاة والبحث عنه في الآكام حتى أعجزه التنقيب فعاد من حيث أتى راجعاً أن يلقى الطي حتفه على يد سائد آخر ، فإن الطياء السمينة قصيرة الأعمار

ملك زمام النطق البشرى أو وهبته الطبيعة فصاحة
سحبان وحكمة قس . فرضى من الدنيا بتصيبه
الجديد وبث ردحا من الزمن بنعش نفس زوجته
بالألحان فى كل صباح ، حتى استدعت صاحب
طيرها وأمرته أن يبذل أقصى ما لديه من الخلق
لاقتناص ذلك البلبل الصداح . غير أن (البلبل
الملك) لم يحوج صاحب الطير إلى بذل أدنى مجهود
لاقتناصه ، بل وقع فى يديه طائفاً مختاراً منتهزاً
فرصة الأسر للدنو من زوجته

فلما عرض عليها ومعهما حاشيتها من الوصائف
اندهش الجميع لما رأيته ينفر منهن إلا الملك فإنه
سقط عليها يتمسح بها ويتشبث بأردائها ثم اختبأ
فى جيبها ففرحت بما أبداه البلبل من التحجب إليها
والتحجب عليها دون سواها ، وأمرت به أن يجعل
فى قفص من الذهب المرصع بالجواهر فى غرفتها
بشرط أن يبقى مفتوحاً حتى لا يشعر بضيق الأسر
ولذلك جعل البلبل بفضل منزله الجديدة وزلفاه ،
يبدى للملكة من أساليب الملاطفة والمداعبة ما تسمح
به طبيعته وخلفته . وجعلت الملكة تقضى
الساعات العديدة الطوال فى مداعبة بلبلها وملاعبته ؛
ووجد البلبل الملك سلوة وعزاء فى حاله هذه مع
الملكة ... لولا ما كان يكدره أحياناً من دخول
الدرويش عليها فى ساعات اللغو واللعب ومغازلته
الملكة وهى تبدى نفورها منه وتعلق الأبواب دونه
وكان غاصب العرش (الدرويش) كثيراً ما يحاول
استجلاب مودة البلبل ، ولكن بلا جدوى ، إذ
كان كلما ازداد تقرباً إلى الطائر ازداد الطائر منه بعداً
ونفرة ، بل ربما أوسمه نكراً بمخلبه ونقرأ بمنقاره
مما كان فيه ملهامة للملكة وممجيبة

وكانت الملكة أنوشروان كلفة أيضاً بكاب
مستأنس بيت معها فى حجرتها ، وكان صديقها
الأبكم وتابعها الأمين ، ومازال لها ولياً وفيها ولد كرى
زوجها حافظاً حتى كان يشار كها النفور من الدرويش
التخفى فى جسد الملك . وكان الكلب يحكم الاختلاط
قد ألف رائحة سيده وميزها من غيرها ثم تعود رائحة
الدرويش مذ كان يغشى القصر على صورته القديمة .
فلما وجد فيه رائحة لا تشبه تلك التى تعود شهما
راح يعطس وينبج ولا تهدأ أثره حتى يفارق
الدرويش غرفة الملكة . والكلب أقوى شئاً من
الإنسان ، ولهذا كان أعرف باختلاف روائح الناس
من الناس أنفسهم . فاتفق أن مات هذا الكلب
ذات ليلة وأهل القصر كلهم رقود إلا البلبل الذى
أبصر موت الكلب ، تأقت نفسه إلى التقمص
فى جثته ثم ما لبث أن صنع ذلك فترك جثة البلبل
وأحيا جثة الكلب التى حل فيها

فلا تسأل عما أصاب الملكة من برحاء الوجد
وحرقة الكمد عند ما استيقظت صباحاً فرأت حبيبها
البلبل ميتاً وكان سلوتها وعزاءها . فانفرط بؤته
وانقطاع صوته عقد هنائها ونفدت البقية الباقية
من صبرها

فاستدعى الملك الكاذب (الدرويش) وصانقها
وأقبل معهن يحاول إقناعها بيطلان حزنها ، لأمر
تافه كهلاك طير حقير . ولكنه عبثاً حاول وحاولن .
وجعلت الملكة تبكى وتندب بما أذاب من كبد
الدرويش رحمة بها وورثاء حتى وعدّها أن يراد الروح
إلى بلبلها . فإنه مازال يطمع فى رضاها ، وتحديثه
نفسه الخبيثة بعدم اليأس من خداعها ، حتى بنال
منها مأربه وهو فى نظر العالم كله زوجها إلا فى

الله المحي المميت المبدى المبيد . وبلغ العجب من
الملكة أقصى مبالغته

وكان الملك الحقيقي يرى ذلك كله بمعنى الكاب
الذى تغمص جلالته فى بدنه ، فاكاديبصر الدرويش
قد خرج من جسمه (وهو الجسم الذى كان
الدرويش يحتال فيه مذ تغمصه فى الغابة يوم الصيد)
حتى خرج هو من جثة السكب كالسهم الماروق ،
فاسترد جسمه قائلاً : « هذه بضاعتنا ردت إلينا »
ثم هجم على البلب الكاذب (المتضمن روح الدرويش)
فلوى عنقه وقصف رقبته

عند ذلك عاودت الملكة بكاءها ونحيبها ، ولكن
زوجها الملك ما لبث أن أفهمها حقيقة الأمر من أوله
إلى آخره مؤيداً قوله بحجتين دامغتين الأولى جسم
الدرويش الذى مازال متروكاً فى الغابة ، والأمر الذى
أصدره الدرويش بأعدام جميع ما احتوته البلاد من
ظباء الوحش . وهكذا تنعم الملك بزوجه بقية العمر
فى رغد وصفاء . محمد لطفي جمعة

نظره لملحه بحقيقة أمره ، وفى دخيلة نفسها اشموورها
بالنفور منه .

وقال لها : ولكن علينا أن نتفاهم أولاً قبل أن
أخطو هذه الخطوة الخطيرة ، برد الروح إلى بلبك
الذى تؤثربنه على .

إن ما أخذته عليك فى عهدنا الأخير من طبيعة
الصخب والقسوة وميلك إلى غصمى والتبرم بى
وإرسال الزفير والشهيق ، وسكب الدموع ، لما
يحزن النفس ويديمها ، وما يدعونى إلى اتهامى إياك
بسوء الخلق وحب الشر ، ولم يكن هذا عهدى بك
منذ خرجت إلى الصيد وفقدت ندى ذلك الدرويش
المسكين الذى جندلته بسهم خاطئ أصاب أحشاءه
فزرقها .

فقلت له : إن بعض هذه الطباع التى تكاد
تسخطك وتحملك على اتهامى بسوء الخلق وحب
الشر إنما هى ثمار أنتجتها نفس هذه التربة التى
أنتجت الحلو الطيب من الحامض ومحامد الصفات
كالرحمة والحب والرفقة ، فإذا رأيت الضدين من الخلق
الغامض حيناً ، ومحمود التضحية وخالص الوفاء
أحياناً ، فلا تحسبن هذا التناقض مظهرآ من مظاهر
العناد الكاذب والاستبداد الباطل ومحض الدلال
والتجنى . وعليك أولاً أن ترد روح بلبلى إليه .

فوعدها بذلك وعد الوائق ، فخبست طوقان دمعها
وتساءلت مندهشة : أنى له ذلك ؟ ولم تعهده من
قبل يرد الأرواح ويميد الموتى إلى عالم الأحياء حتى
ولو كانوا طيورآ ، وإن ملك هذه الموهبة الخارقة ،
فليم لم يرد روح درويشه العزيز الذى كان يؤثره
على كل من عداه من الزمان والبطانة ؟

ولكن الملك الكاذب لم يجبهها ، غير أنه انطرح
على مقعد تم أرسل روحه فى جثة الطائر فماش باذن

